

تصلح ان تكون اداة للاعلام العربى فى مواجهة التقدم
الفنى الهائل ، وانطلاق وسائل الاتصال بالجهاير .

ذلك ان العربية قد اصيبت فى عصور الانحطاط
بمرض العموم والغموض والابهام ، كنتيجة لانفقاد
وظائفها الهادفة فى هذه العصور ، فضاعت الفروق
الدقيقة بين الالفاظ المتقاربة فعدت مترادفة وكثر
استعمال « الالفاظ فى المعانى المجازية وصرفت عن
معانيها الاصلية فمضاع الفكر بين الحقيقة والخيال
وزالت الخصائص المميزة والفروق الفاصلة واصبح
لكل موضوع مهما تكرر قوالب من اللغة ثابتة واداة
من اللفظ لا تتغير مصوغة لكل مناسبة او موضوع
تنقل وتلحق كلما تكررت تلك المناسبة او عرض ذلك
الموضوع فاذا كان الموضوع وصف حقيقة او تعزية
صديق او التعبير عن فرح او طرب لم يتغير الكلام ايا
كانت تلك الحقيقة وفى اى بلد وايا كانت مناسبة
التعزية او الفرح (98) . وفى ذلك قتل لخصائص اللغة
العربية ومزاياها الاعلامية من ابراز المقومات والمزايا
الخاصة والدقائق الخفية .

على ان اللغويين ايام ازدهار اللغة ، كانوا يدركون
هذه المزية من المزايا العربية ، فعنوا بابراز الفروق
بين الالفاظ فى مؤلفات خاصة لكتاب الفروق « لابسى
هلال العسكري وابواب الفروق من كتاب ادب الكاتب
لابن قتيبة والقسم الاول من « فقه اللغة واسرار
العربية » للثعالبي .

كما كان كتاب العربية ، يحرصون على هذه المزية
الاعلامية فى لغتهم ، فيضعون الالفاظ فى مواضعها
ويحرصون على دقة التعبير ، فكان الجاحظ يستعمل
الالفاظ التى تتخصص مدلولاتها بها لا تتناول سواها
بقدر ما تسمح له اللغة بذلك فاذا ذكر آلة او اداة او
طعاما او لباسا او شيئا من هذه الاشياء المادية ذكرها
باسمائها الخاصة وفرق بهذا التخصص بين انواعها
المختلفة فمن ذلك التخبوط والجوانفة والشلطة
لضروب من السمك ، والجعفرية لضرب من السفن ،

والسرجة والمصباح والتنديل ما يستصبح به ، والمصام
ما تسد به القوارير ، والكباح للعلل الذى ينظف
المثاعب والمجارى ، والشارع للسكة الكبيرة . والرائع
للطريق الضيقة بين المنازل (99) ، الخ .

ونجد مثل هذه الدقة فى الوصف عند كثير من كتّاب
العربية فى مختلف العصور ، ولا سيما فى القرون
الاربعية الاولى بعد الاسلام ومن هؤلاء : عبد اللطيف
البغدادي (557 هـ - 629 هـ) فقد كان دقيقا فى
ملاحظته وتعبيره فى رحلته الى مصر التى سماها
« الامادة والاعتبار » فقد وصف فيها نباتات مصر
وحيواناتها وآثارها وصفا يبعث فى الانسان الدهشة
والتعجب فمن ذلك قوله فى وصف الياضية : « وهى
ثمر بقدر ابهام اليد ، كانه جراء (100) القثاء ، شديد
الخضرة ، الا ان عليه زيرامشوكا ، وهو خميس
الشكل ، يحيط به خمسة اضلاع ، فاذا شق عن خمسة
ايبات بينها حواجز وفى تلك الايبات حب مصطف ،
مستدير ابيض اصفر من اللوييا ، هس ، يضرب الى
الحلاوة وفيه قبض ولعابية كثيرة (101) » .

بهذا الاسلوب البسيط الدقيق فى كلياته وصف
البغدادي فى رحلته هذه سائر ما شاهده فى مصر من
النبات والحيوان ومعالم العمران والاكثر القديمة وانما
كانت دقة الوصف من استعمال الالفاظ المطابقة لمعانيها
الدقيقة فى دلالتها .

وهذه الخاصة الوظيفة للغة التى استخدمها كتاب
العربية خير استخدام ، جعلت علماء الصحافة والاعلام
يذهبون الى ان الجاحظ - وهو من كتاب القرن الثالث
الهجرى - بان يكون اول صحفى ممتاز او انه عاش
فى القرن الذى نميش فيه . يقول الدكتور ابراهيم
امام : (102) . « يمكن النظر الى ادب الجاحظ فى
مجموعه على انه ادب تتوفر فيه الكثير من خصائص
الفن الصحفى لقد كان الجاحظ رجلا شديد الانغماس
فى المجتمع ، وهو فى الوقت نفسه فزير الانتاج الى
درجة تلفت النظر ، وانتاجه وثيق الصلة بالانكار
فى تلك البيئة العباسية من دين وسياسة وثقافة وعادات

(98) محمد المبارك : خصائص العربية ص 62 .

(99) محمد المبارك : فن القصص فى كتاب التجلاء للجاحظ - ص : 38 .

(100) جراء جمع جرو الصغار من كل شئ .

(101) عبد اللطيف البغدادي فى مصر . مطبعة المجلة الجديدة بالقاهرة - ص 20 .

(102) دراست فى الفن الصحفى - ص : 33 .